الرسالة

(عبرانيين: ١١: ٣٣–٤٠؛ ١٢: ١ و ٢)

يا إخوةُ إنَّ القديسَين أجمعين بالإيمانِ قهروا الممالكَ وعمِلوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأُسود* وأطفأوا حِدَّةَ النارِ ونَجَوا من حدِّ السيفِ وتقَوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشدَّاءَ في الحربِ وكسروا مُعسكراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتهنَّ بالقيامة. وعُذِّبَ آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرونَ ذاقوا الهُزءَ والجَلْدِ والقيودَ أيضاً والسِّجن* ورُجموا ونُشروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جلودِ غنَمٍ ومَعَزٍ وهم مُعْوَزون مُضايَقون مجهودون* ولم يكنِ العالم مستحقًّا لهم. فكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ لم

أحد جميع القديسين

تعيّد الكنيسة الأرثوذكسية في الأحد الأول بعد العنصرة لذكرى جميع القدّيسين. لقد أدركت الكنيسة مباشرةً من بعد زمن الاضطهادات ضرورة أن تخصّص يومًا من الروزنامة الكنسية لتكريم «جميع القدّيسين». فإنه استحال عليها أن تعرف بالاسم، وبشكل فرديّ، كلّ الذين استشهدوا لإيمانهم بالمسيح. وقد اختلف يوم هذا العيد ما بين الكنائس المحلّية، إنّما الواضح هو شعور المؤمنين في الكنيسة الأرثوذكسية، لا بضرورة التعييد لذكرى حياة واستشهاد هؤلاء المناضلين من أجل الإيمان فحسب، وإنّما بالحاجة إلى بناء شركة وعلاقة محبة معهم.

أما التاريخ الحالي لعيد جميع القدّيسين فيعود على الأقلّ إلى عهد القدّيس يوحنا الذهبي الفم الذي يذكر في إحدى مواعظه في القسطنطينية أنّ ذكرى شهداء الكنيسة الجامعة يقع في الأحد الأول بعد العنصرة. ولطالما اعتُبر هذا العيد مناسبةً حقّة لبناء الوحدة ما بين كنيسة المسيح الغالبة في السموات وكنيسته المجاهدة التي على الأرض.

مَن هو القديس؟ بداية، يجب أن نعرف أن القديس لا يولد قديّسًا إنما يصير قدّيسًا. جميعنا نولد مع إمكانية أن نصبح قدّيسين. والفرق الوحيد بيننا، نحن غير القدّيسين، وبين القدّيسين الحقيقيين هو أنّهم أناس ينهضون من بعد أن يأثموا ويتوبون على الدوام حتى يبلغوا مرتبة القداسة، أما نحن فنستسلم للضعف ونستكين فيه. يتوجّه الإنسان المسيحي إلى القدّيسين بكل وقار واحترام لأنّه يدرك بوضوح نعمة الله في شهادتهم وجهادهم. يطلب شفاعاتهم بكل تقدير وتبجيل وإكرام. وفي كل مرة يتواصل فيها مع القدّيسين يفتقده نور المسيح ويفرح قلبه.

نعرف أنّ الصلاة للقدّيس مرضيّة لدى الله بحسب شهادة الكتاب المقدّس وخبرة الكنيسة الغنية. وبما أننا متأكّدون من أنّ هذه الصلوات مرضيّة، وإذ ندرك النعمة العظمى التي سكبها الله على قدّيسيه، نطلب شفاعاتهم بثقة كاملة.

العدد ٢٦ / ٢٠١٦

الأحد ٢٦ حزيران

أحد جميع القديسين

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الأول

يقول القديّس نكتاريوس (٩ تشرين الثاني): «تؤمن الكنيسة، أنها حين تطلب شفاعات القدّيسين الذين صلّوا للمسيح خلال حياتهم من أجل سلام العالم وثبات كنائس المسيح المقدّسة، تؤمن بأنّ هؤلاء القدّيسين لا يكفّون عن ذلك في كنيسة المسيح السماوية الغالبة وبأنّهم يستمعون إلى تضرّعاتنا ويصلّون إلى المسيح، كونهم حاملين لنعمة الرب ولرحمته».

ويفسّر القدّيس يوحنا كرونشتاد (٢٠ كانون الأول) قائلًا: «يجب علينا أن نقتني وحدة روحية حيّة مع السكّان السماويين، قدّيسين ورسلًا وأنبياء وشهداء ومبشرين وأبرارًا لأنّهم جميعًا أعضاء جسد واحد، كنيسة المسيح، التي ننتمي إليها نحن الخاطئين أيضًا، والتي رأسها الحي هو الرب يسوع المسيح ذاته. لهذا، ندعوهم في الصلاة، نتكلّم معهم، نشكرهم ونمدحهم. إنه لمن الضرورة القصوى لكلّ المسيحيين أن يكونوا في وحدة معهم إذا ما رغبوا في أن يحرزوا تقدّمًا مسيحيًّا، فإنّ القدّيسين هم أصدقاؤنا ومرشدونا إلى الخلاص، وهم مَن يصلّون ويتشفّعون من أجلنا».

إنّه لَمِن العجب أنّ الذين يرفضون طلب الشفاعة من القدّيسين، إنما يطلبون من الذين ما زالوا أحياء بين عائلتهم وأصدقائهم أن يصلّوا من أجلهم. وهذا طلب صحيح بالكامل لأنّه من الطبيعي أن يرغب الإخوة المؤمنون بالصلاة من أجل الذين يحبّون. إلّا أنّ صلاة الأحياء ليست على قدر قوة صلاة القدّيسين المنتقلين إلى الأخدار السماوية كما يخبرنا الكتاب المقدّس: «أمريض أحد بينكم؟ فليدعُ شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تُغفر له. اعترفوا بعضكم لبعض بالزلّات، وصلّوا بعضكم لأجل بعض، لكي تشفوا. طلبة البار تقتدر كثيرا في فعلها. كان إيليا إنساناً تحت الآلام مثلنا، وصلّى صلاة أن لا تمطر، فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر، ثم صلّى أيضا، فأعطت السماء مطراً، وأخرجت الأرض ثمرها» (يعقوب ٥: ١٤ – ١٨).

ليس القدّيسون براقدين أو«أموات». أخبرنا الرب بنفسه وبوضوح أنّ «الله ليس إله الأموات بل إله أحياء»، «إله ابراهيم واسحق ويعقوب» (متى ٢٢: ٣٢). ظهر مرةً متجلّيًا على جبل ثابور مع اثنين من أنبيائه، موسى وإيليّا، وقد ظهرا حيَّيْن إلى جانبه. ويُظهر هذا الأمر بوضوح أن القديسين «الأموات» ممجّدون بالنعمة أكثر بكثير من الأحياء لأنّ الرسل بطرس ويعقوب ويوحنا لم يتحمّلوا معاينة النور غير المخلوق الذي خرج من المسيح، وكان موسى وإيليّا مغمورين فيه. وبالتالي، فإنّ للقدّيسين الراقدين شركة أعظم مع المسيح ودالّتهم في الشفاعة أعظم.

ليس تكريم المؤمن المسيحي للقدّيسين سوى التعبير عن الإيمان الحقيقي بالقيامة وبمعرفة دلالاتها على حياتنا. ونحن غالبًا ما نفكّر بالقدّيسين لأننا، عندما ننظر إليهم ونلتجئ إلى كنفهم، ندرك معنى تجسّد الإله– الإنسان، يسوع المسيح، وقيامته وصعوده، وإرساله لموهبة الروح القدس. نرى في القدّيسين وعود الله ينالوا الموعد* لأَنَّ اللهَ سبَقَ فنظرَ لنا شيئاً أفضلَ أن لا يكملوا بدونِنا* فنحن أيضاً إذ يُحدِقُ بنا مثلُ هذه السحابةِ من الشهودِ فلْنُلقِ عنَّا كلَّ ثِقلٍ والخطيئةَ المحيطة بسهولةٍ بنا. ولْنسابِقْ بالصبر في الجهاد الذي أمامنا* ناظرينَ إلى رئيسِ الإيمانِ ومكمّله يسوع.

الإنجيل

(متى ١٠: ٣٢–٣٧؛ ١٩:٢٧–٣٠)

قال الربُّ لتلاميذهِ كلُّ مَنْ يعترفُ بي قدَّامَ الناسِ أعترفُ أنا به قدَّامَ أبي الذي في السموات* ومَن ينكرُني قدَّامَ الناس أنكرُهُ أنا قدَّامَ أبي الذي في السموات* مَن أحبَّ أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقُّني. ومَن أحبَّ ابناً أو بنتاً أكثر مني فلا يستحقُّني* ومَن لا يأخذُ صليبَه ويتبعُني فلا يستحقُّني* فأجاب بطرسُ وقال له هوذا نحنُ قد تركنا كلَّ شيءٍ وتبعناك فماذا يكونُ لنا* فقال لهم يسوعُ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم أنتم الذين تبعتموني في جيلِ التجديدِ متى جلسَ ابنُ البشرِ على كرسيِّ مجدِهِ تجلِسون أنتم أيضاً على إثنَيْ عَشر كرسيًّا

تدينونَ أسباطَ إسرائيلَ الإثني عَشَرَ* وكلُّ مَن ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو أباً أو أماً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولًا من أجلِ اسمي يأخُذُ مِئة ضِعْفٍ ويرِثُ الحياةَ الأبديةَ* وكثيرونَ أوّلون يكونون آخِرين وآخِرون يكونون أوّلين.

تأمل

لقد وهبنا السيّد المسيح رفات القديسين ينابيع خلاصية تنبع البركات بطرق شتّى، وتفيض الطيب الذكي الرائحة. ولا ينكرنَّ أحدٌ ذلك! فإنَّ الله لمّا شاء أنبع ماءً في الصحراء من صخرة صمَّاء يابسة، وأنبع لشمشون في عطشه ماءً من فكّ حمار، أفيكون غريباً أن يفيض الطيب الذكيّ الرائحة من رفات مَن نغبّطهم؟ إنه ليس غريباً البتّة لمن يعرفون قوة الله وكرامة القديسين لديه. إنّ هؤلاء القديسين ليسوا أمواتاً. فإننا – منذ أن أُحصيَ الحياة بالذات وعلّة الحياة بين الأموات – لا نحسب أمواتاً مَن رقدوا على رجاء القيامة والإيمان بالمسيح. وإلاَّ فكيف يجترح المعجزات جسمٌ ميتٌ وكيف يطردُ الشياطين؟ والأمراض تزول؟ والضعفاء يشفون؟ والعميان يُعاد إليهم بشأن خلاص الإنسان محقّقةً مكمّلة. نرى دعوتنا لأن نتمثل بإخوتنا حتى إذا ما اتّبعنا دربهم، درب الإيمان والجهاد الروحي، نسكن معهم في نور المسيح وفي دفء بيت الآب السماوي.

القداسة

تقيم كنيستنا المقدّسة في الأحد الذي يلي أحد العنصرة تذكارًا لجميع القدّيسين. ليس المعنيّون بهذا التذكار هم القدّيسون الذين نعيّد لهم في خلال سنتنا الطقسيّة فقط، إنّما يدخل كلٌّ منّا في لائحة المعنيّين به، كيف ذلك؟

نسمع الكاهن يقول في القدّاس الإلهيّ عبارة «القدسات للقدّيسين» وذلك من بعد أن يكون قد استدعى الروح القدس على القرابين. المقصود بالقدّيسين هنا كلّ إنسان يسعى إلى القداسة لكي يستحقّ أن يتناول عن جدارة القدسات المقدَّمة، أي جسد الربّ ودمه الكريمَين. إذًا، يمكننا أن ندعو هذا اليوم «أحد جميع الساعين إلى القداسة».

إنّ سعي الإنسان نحو القداسة، أو التألّه، يبدأ منذ لحظة خروجه من جرن المعموديّة حيث تعمّد بالماء على اسم الآب والإبن والروح القدس. بعد ذلك يُكرَّس المُعتمد من خلال مسحه بالميرون الذي هو «ختم موهبة الروح القدس». هذه المسيرة التي تبدأ في المعمودية تستمرّ من خلال الإشتراك في سرّ الشكر الذي يتمّ بفعل وحلول الروح القدس، إضافةً إلى الأسرار ووسائل التقديس الأُخرى التي تمارسها الكنيسة في سبيل إيصال أبنائها إلى القداسة.

يدعونا العهد الجديد إلى أن نعيش بحسب الروح: «إن كنّا نعيش بالروح فلنسلك أيضًا بحسب الروح» (غل ٥: ٢٥)، «لأنّه إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو ٨: ١٣). تأتي هذه الدعوة بسبب محبّة الله لنا ورغبته في أن نتقدّس: «لأنّ هذه هي إرادة الله قداستكم» (١تس ٤: ٣)، «لأنّ الله لم يدعُنا للنجاسة بل في القداسة» (١تس ٤: ٧).

الأمر الذي يؤكّد على أنّ كلّ المسيحيّين مدعوّون إلى القداسة طريقةُ رسول الأمم بولس في مخاطبة أبناء الكنائس في رسائله وتسميتهم «قدّيسين»: «بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله إلى القدّيسين الذين في أفسس والمؤمنين في المسيح يسوع» (أف ١: ١)، «لذلك أنا أيضًا إذ قد سمعتُ بإيمانكم بالربّ يسوع ومحبّتكم نحو جميع القدّيسين» (أف ١: ١٥).

إذًا، من كلّ الآيات السابق ذكرها، نجد أنّ أهمّ عناصر القداسة هي نبذ أعمال الجسد: «زنى، عهارة، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزّب، شقاق، بدعة، حسد، قتل، سُكر، بَطَر...» (غل ٥: ١٩–٢٠). والعيش بحسب الروح، والإيمان «في المسيح يسوع»، وهذا كلّه يدعمه وجود نعمة الروح القدس الذي عيّدنا الأحد الماضي لحلوله على التلاميذ وعلينا، ويقول القدّيس مرقس الناسك في هذا الصدد: «لا يمكننا أن نقوم بأيّ عمل في سبيل قداستنا بمعزل عن النعمة» (أي من دون وجود الروح القدس في حياتنا).

هنا يأتي دور الإنسان. فمن بعد أن وضع لنا الربّ خريطة الطريق

نحو القداسة (من خلال ما قرأنا في الكتاب المقدّس)، داعمًا إيّاها بنعمة روحه القدّوس الذي أرسله إلينا ليشدّدنا ويعزّينا من بعد صعوده إلى السموات، يكون دور الإنسان أن يجاهد في سبيل الحصول على نعمة القداسة وذلك من خلال المحافظة عليها أوّلًا، والعمل بمشيئة الله ثانيًا حتّى يستطيع الحصول على قداسة أكمل وأعمق، أي أن يشارك مشاركة كاملة بنعمة الثالوث القدّوس، على حسب ما يقول الرسول بولس: «بسبب هذا أحني ركبتيّ لدى أبي ربّنا يسوع المسيح، الذي منه تُسمّى كلّ عشيرة في السموات وعلى الأرض، لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيّدوا بالقوّة بروحه في الإنسان الباطن. ليحلّ المسيح في الإيمان بقلوبكم، وأنتم متأصّلون ومتأسّسون في المحبّة حتّى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القدّيسين ما هو العرض والطول والعمق والعلوّ وتعرفوا محبّة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كلّ ملء الله» (أف ٣: ١٤-١٩).

هل يمكن أن نجد ساعين إلى القداسة في أيّامنا؟ نعم، إذ إنّ كلّ زوجةٍ تحتمل ضعفات زوجها محاولةً إصلاحه بالمحبّة حفاظًا على عائلتها تكون من السعاة إلى القداسة. وكلّ زوج يحتمل المشقّات من دون أن يجنح إلى الطرق المعوّجة في سبيل إنشاء عائلةٍ مسيحيّة حقيقيّة يكون على طريق القداسة. وكلّ ولدٍ يحتمل الإهانات فقط لأنّه ملتزم بالصلوات والنشاطات الكنسيّة يكون قد وضع يده على المحراث نحو القداسة. وكلّ مدرّسٍ يعلّم بضمير حيٍّ محرَّكٍ بالمحبّة الحقيقيّة نحو الآخر يكون سائرًا نحو القداسة.

إذًا، لدينا أمثلة كثيرة جدًّا عن قدّيسين يحيون بيننا من دون أن يُظهروا أنفسهم، أو بالأحرى من دون أن نراهم، لأنّنا اعتدنا على أن نرى الخطأ صوابًا والصواب خطأً.

في النهاية، ليس القدّيس فقط مَن يجلس داخل صومعته يصلّي ليلًا ونهارًا، بل يكثر القدّيسون داخل العالم، في الضجيج المتعالي والفساد المتزايد، وهم كشموع تنير ظلمة دهرِنا، علّنا نتبع هداهم فيزداد نورِ النعمة ويندحر ظلام الخطيئة.

أمسية تراتيل وأناشيد

تقيم جوقة الأولاد في الأبرشية Choeur d'Enfants التابعة لمكتب التربية المسيحية أمسية تراتيل وأناشيد وذلك عند الساعة السابعة من مساء الأحد ٢٦ حزيران ٢٠١٦ في ملعب القسم الابتدائي لمدرسة زهرة الإحسان. يتخلّل الأمسية توزيع شهادات تخرّج للأولاد الذين أتمّوا الثالثة عشرة من عمرهم وبذلك ينتقلون إلى مدرسة القديس رومانوس المرنّم ليتعلّموا أصول الترتيل الكنسيّ ويصبحوا تاليًا في جوقة الأبرشية ويساهموا في نشر البشارة عبر الترنيم في كنائس رعاياهم.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

بصرهم؟ والبرص يطهرون؟ والتجارب والأحزان تتبدّد؟

إنّ هؤلاء القديسين قد أصبحوا خزائن الله ومنازله، لأنّ الله يقول: «إني سأسكن فيهم وأسير في ما بينهم وأكون لهم إلهاً» (٢ كور ٦: ١٦). ويقول الكتاب الإلهي أيضاً: «نفوسُ الصدّيقين بيد الله فلا يمسُّها عذابٌ» (حكمة ٣: ١)، فإنَّ موت الصدّيقين نومٌ أكثر منه موت. «لأن النعمة والرحمة لمختاريه» (حكمة ٣: ٩)، و«كريمٌ في عيني الرب موت أصفيائه» (مز ١١٥: ١٥). إذاً فماذا أكرمُ من أن يكون الإنسان بين يدَي الله؟ الله حياةٌ ونور. ومن هم بين يديه هم في الحياة والنور.

وإنّ الله يتّحد أيضاً اتحاداً عقلياً في أجسادهم، كما يقول الرسول: «أما تعلمون أنكم هيكل الله وأنّ روح الله مستقر فيكم»؟ و«أنّ الربّ روح» (٢ كور ٣: ١٧)، و«أنَّ من يفسد هيكل الله يفسده الله» (١ كور ٣: ١٧). إذاً فكيف لا ينبغي أن نكرّم هياكل الله الحية، مساكن الله الحيّة أي أولئك العائشين منتصبين بحضرة الله؟

القديس يوحنا الدمشقي